سلسلة تاريخ إقليم غرب كُردستان– دراسات تاريخية

الحلقة (11)

الحُوريون وغرب كُردستان في المصادر التاريخية

Dr. Sozdar Mîdî

إطلالة على الجغرافيا والمصطلح:

ذكرنا سابقاً أن الوجود الكُردي في غرب كُردستان لم يبدأ منذ عهد صلاح الدين الأيوبي (القرن 6 هـ = 12 م) حسبما روّجت الأنظمة السورية التي حكمت هذه الجغرافيا الكُردستانية، إنه يرجع إلى لا أقلّ من أربعة آلاف عام، ووضّحنا– بالأدلة التاريخية– أن الحوريين هم من أبرز أسلاف الكُرد الذين أقاموا في هذه الجغرافيا.

وذكرنا أن اسم (سوريا) كان يشمل فقط جغرافيا سوريا الحالية بين الفرات شرقاً والبحر الأبيض المتوسط غرباً، ولم يكن الجزء الشمالي الشرقي (منطقة الجزيرة) معدوداً من الجغرافيا السورية، ورجّحنا أن لاسم (سوريا) هويّة ميثولوجية، وكان يُطلَق في الأصل على الجغرافيا التي كان يقيم فيها أتباع إله الشمس الآري (سُورْيا= آسورا= أهورا)، وأن كلمة (سوري) تعني المؤمن بالعقيدة الشمسانية.

وخلال القرن (5 ق.م)، ارتبط اسم (سوريا) في المصادر اليونانية باسم الآشوريين والسريان (الآراميين)، باعتبار أن الآشوريين كانوا قد سيطروا على مملكة ميتاني الحورية حوالي عام (1200 ق.م)، وقلّصوا نفوذها، وألحقوها بمملكتهم. وفي القرن (11 ق.م) كان الآراميون قد بدأوا التغلغل في منطقة الجزيرة (مركز مملكة ميتاني الحورية)، قادمين من البادية التي عُرفت لاحقاً باسم (البادية السورية)، ومستغلّين وقوعَ الحوريين تحت احتلال مملكة آشور، والضعفَ النسبي لمملكة آشور في الشرق، وضعفَ المملكة الحثّية في الأناضول شمالاً[1].

وإن سيطرة مملكة آشور على مملكة ميتاني الحورية لا يعني مطلقاً أن الحوريين أُبيدوا جميعاً، فالدولة الآشورية كانت مجرّد دولة احتلال، تفرض سلطتها على

الشعب الميتاني– حوري، مع الأخذ في الحسبان أن الآشوريين لم يكونوا شعباً غزير العدد، وما كانوا قادرين على ملء الفراغ السكاني في البلاد التي يحتلونها.

والدليل على بقاء الميتان– حوريين في موطنهم رغم زوال دولتهم؛ أن الملك الآشوري تُوكُولْتي نِينُورْتا (1233 – 1197 ق.م) – ابن الملك شَلْمانَسَر الأول وخليفته– ذكر أن السُوبارتيين (الاسم القديم للحوريين) تمرّدوا على أبيه في خاني جَلْبات [خانيگالْبات، الاسم الآشوري لمملكة ميتّاني الحورية بعد تقلّصها، سُمّاها الآراميون: طُور عابْدين، وهي تقع غرب جزيرة بُوتان]، وامتنعوا عن دفع الجِزية له[2]. وهل يستطيع الحوريون التمردَ على السلطات الآشورية؛ ما لم يكونوا يشكّلون كثافة سكانية قادرة على مواجهة الآلة العسكرية الآشورية الشرسة؟

وبقي أن ندقّق النظر في دلالة اسم (غرب كُردستان)، فقد ذكرنا في دراسة سابقة أننا مصطلح (إقليم غرب كُردستان) يدل على الجغرافيا الكُردستانية التي ضُمّت بموجب التوافقات الإنكليزية– الفرنسية إلى دولة سوريا المستحدَثة في الربع الأول من القرن العشرين. وجدير بالذكر أن إقليم غرب كُردستان جزء من جغرافيا جنوب غرب كُردستان الكبرى الذي ضُمّ معظمه إلى دولة تركيا، والذي يشمل منطقة جزيرة بُوتان شرقاً، ومنطقة ماردين، ومنطقة أُورفَه، ومنطقة عَينتاب، وأخيراً منطقة مَرْعَش في أقصى غربي كُردستان (انظر خريطة تركيا وخريطة كردستان الكبرى).

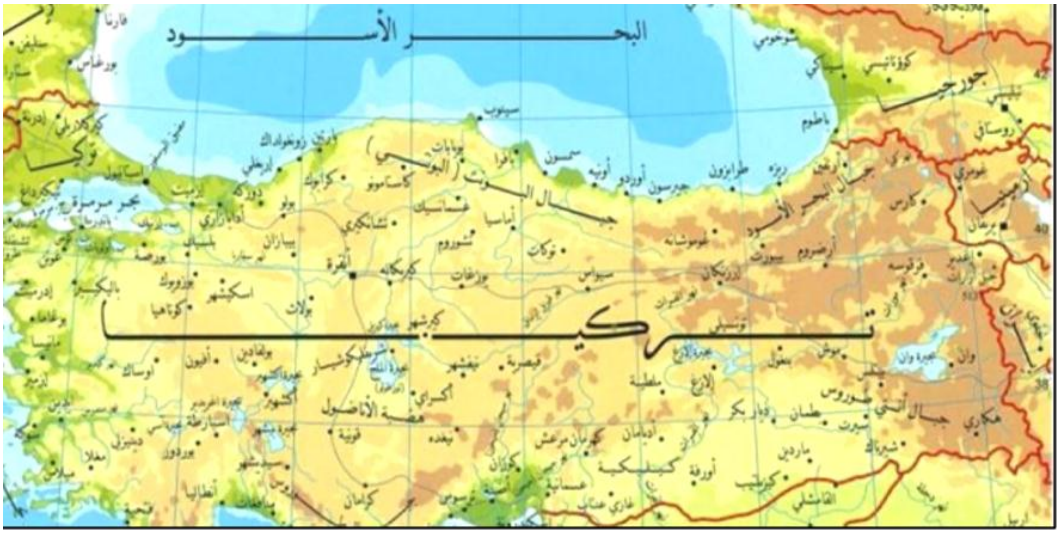

(خريطة تركيا)

(خريطة كردستان الكبرى)

والآن، ماذا تقول المصادر عن الوجود الحوري في غرب كُردستان؟

الوجود الحوري في غرب كُردستان:

وجود الحوريين في غرب كُردستان (جنوب تركيا وشمال سوريا حالياً) قديم جداً، وهو جزء من الوجود الحوري في بقية أجزاء كُردستان، وقد مرّ أن القسم الأكبر من كُردستان كان يسمّى (سوبير) أو (سوبار) SU. BIR, SU. BAR في كتابات ملك مدينة لَگَش (لَجَش) السومري (إي أَناتُم – حكم حوالي 2470 – 2430 ق.م)[3].

ومرّ أيضاً أن جغرافيا أسلاف الكُرد (بلاد سوبارتو) كانت تمتدّ من إقليم جنوب كُردستان عبر شمال سوريا، وتصل إلى مدينة أَلالاخ (تل عَطشانة) على نهر العاصي في منطقة (عَمْق) غرباً؛ ومنطقةُ (عَمْق) متاخمة للبحر الأبيض المتوسط، وهي امتداد لمنخفَض (جُومَه) Cûme في منطقة عَفرين الكُردية[4].

وجدير بالذكر أنه في كل عهد من عهود التاريخ الكُردي، كان أحد فروع أسلاف الكُرد يمتلك السيادة في معظم مناطق كُردستان، ويصبح جميع أسلاف الكُرد تقريباً معروفين عند الجيران باسم ذلك الفرع، وفي البداية عُرفوا باسم (سُوبارتي= سوباري)، ثم عُرفوا باسم (گُوتي= جُوتي= جُودي)، ثم عُرفوا باسم (حُوري= خُورّي= هُوري)، ثم عُرفوا باسم (مادي= ميدي)؛ وهكذا فالحوريون امتداد جغرافي وإثني وسياسي وثقافي للأسلاف السوباريين والگوتيين، ولم يكن وجودهم في غرب كُردستان دخيلاً.

وفيما يلي بعض ما جاء في المصادر بشأن الحوريين في غرب كُردستان.

❖ قال جين بوترو وزملاؤه بشأن ظهور الحوريين:" **نجد في أواخر الفترة الأكادية أوّلَ ذِكر لشعب آخر غير سامي، قُدِّرت له هذه المرّة أيضاً العَظَمةُ في الألف سنة التالية، فلا بدّ من أنّ وصول الحُوريون في هذا الوقت من الشمال أو من الشرق، إلى الحافّات الشمالية من الأراضي العليا** [= مرتفعات كُردستان]، **حيث يظهر أنهم احتلّوا أو أسّسوا عدّة مدن، وبشكل خاصّ أوركيش Urkish، وناوارNawar، وكاراخار Karhar (قَرْقَر) في منطقة مارْدِين الحالية، وإننا نعرف ذلك من بعض النصوص، حيث فيها أسماء الأشخاص، وحتّى اللغة أحياناً، حُوريةٌ بكتابة مسمارية**"[5].

❖ ذكر جين بوترو وزملاؤه الباحثون أنه في القرن (18 ق.م)، كانت سلسلة من الدول الحورية توجد في شمال كَرْكَميش (أي في جنوب تركيا حالياً)، منها أُورشو Urshu، وخَاشُّوم Hasshum (تقع شمال غربي حلب)[6].

❖ قال جين بوترو وزملاؤه أيضاً بشأن الانتشار الحوري في سوريا: "**علينا ألاّ نستهين بنسبة السكان الخُوريين في شمال وادي الرافدين وشمالي سوريا، فهناك نسبةٌ عالية من الأسماء الخورية في نصوص العصر البابلي القديم في (أَلالاخ)، وإن كانت السلالة المحلّية سلالة أمورية. ومع القرن الخامس عشر** [ق.م] **كانت (أَلالاخ) قد أصبحت بشكل عامّ حُورية**"[7].

❖ قال جِرْنوت فيلْهِلْم: " **أمّا في الفترة التاريخية– حتى حوالي (1560 ق.م)– فيلاحَظ غلبةُ الطابع الحُوري في حلب وأَلالاخ، رغم استمرار حكم ملوكها ذوي الأسماء الأَمورية، ولا ينعكس ذلك في الهويّة اللغوية لأسماء الأشخاص فحسب، بل في هويّة المجتمع الديني والمصطلحات المستخدمة في الشعائر الدينية. وإذا كان لاندس برجر قد تحدّث (في عام 1954) عن وجود أربع ممالك حُورية غربي الفرات، هي: حلب، أُرْشُوم، خَاشُّوم، كَرْكَميش، فإنه– على الأرجح– قد أصاب في وصف حقيقة الوضع، مع تحفّظي على تصنيفه كَرْكَميش بينها**"[8].

❖ قال جِرْنوت فيلْهِلْم أيضاً بشأن الوجود الحوري في أَلالاخ: "**تُعَدّ النصوص المكتشَفة في مدينة ألالاخ، على المجرى السفلي لنهر العاصي، أبعدَ المواقع غرباً التي كُشف فيها عن نصوص من العصر البابلي القديم، وتتضمّن أسماءَ أشخاص حوريين. وتشكّل الأسماء الحُورية المذكورة في نصوص الطبقة السابعة– تؤرَّخ بالنصف الأول من القرن السابع عشر ق.م حتى (1560 ق.م)– حوالي نصف أسمائها، وتبلغ نسبة الأفراد حاملي الأسماء الحُورية حوالي ثلاثة أثمان (37.5%) مجموع السكان بشكل عام**"[9].

❖ قال جورج رو: " **بعد عام (1600 ق.م) حلّ الفخّار الحُوري محلّ فخّار حوض خابور السَّمِج** [= غير الجميل] **الغريب الألوان، وأصبح العنصر الحُوري مهيمناً على شمال سوريا والعراق والجزيرة؛ لذلك يجب علينا ألاّ نستغرب ظهورَ مملكة حُورية في تلك المناطق في بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد، لها اقتدارٌ كافٍ لصدّ كلّ من الآشوريين في الشرق والحثّيين والمصريين في الغرب. كان قلب هذه المملكة يقع في مقاطعة البالخ** [= البَليخ] **– الخابور، في منطقة يسمّيها الآشوريون (هانيگالْبات)، وتُطلِق عليها مدوَّنات الساميين الغربيين اسم (نَهاريم) أيْ (الأنهار). ومن المحتمل أن يكون اسم حُوريينا (حُوري) قد استطاع البقاء حيّاً في كلمة (أُورْحُو)، وهي الاسم الإغريقي لمدينة (أُورفه)**" [10].

❖ قال محمد حَرْب فَرْزات وعِيد مَرْعي: "**العناصر الحُورية كانت منتشرة في مناطق عديدة من بلاد الرافدَين وسورية منذ القرون الأولى من الألف الثاني ق.م، وبعد موت شَمْشي أدَد الملك الآشوري القويّ تبعثرت منطقة أعالي الرافدين** [= الجزيرة جزء منها] **إلى وحدات سياسية عديدة تُحكَم من قِبل أسر حورية مختلفة. في هذا الوقت كان طُور عابْدِين** [= في غرب جزيرة بوتان] **والجزيرة مناطق حُورية، ومن المعتقَد أنه بعد سقوط ماري انتشر الحُوريون بشكل سريع في وادي البَليخ والفرات الأوسط، وربما وادي العاصي الأوسط**"[11].

❖ قال محمد حَرْب فَرْزات وعِيد مَرْعي أيضاً: "**يذكر لنا أرشيف ألالاخ على المَجرى الأسفل لنهر العاصي أسماء أَشْهُرٍ باللغة الحُورية، وعدداً كبيراً من أسماء الأعلام الحُورية، ليس فقط بين الأشخاص العاديين، وإنما أيضاً بين الأشخاص العاملين في القصر الملكي. وتَرِد أسماء حُورية في النصوص المكتشَفة في تل شاغار بازار (في الجزيرة السورية**[= في حوض نهر الخابور])"[(12)].

❖ قال الدكتور أحمد ارْحَيِّمْ هُبّو: "**وما إن أَهَلّ** [= بدأ] **القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حتى كانت مناطق شاسعة من شمالي بلاد الرافدين وسورية تَعِجّ** [= تزدحم] **بالحُوريين، وتُعَدّ نصوص ألالاخ العائدة إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، والتي تظهر فيها أسماء العَلَم الحُورية بشكل لافت، مثالاً على انتشار الحُوريين في سورية الشمالية**"[(13)].

ونبحث لاحقاً في بعض ممالك الحوريين وعواصمهم في غرب كُردستان.

حبّذا إرسال هذه الحلقات إلى السادة ساسة الكُرد في إقليم غرب كُردستان.

2013 – 11 – 20

المراجع:

1 – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص 81 – 82. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، 79/1.

2 – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص 82. د. جمال رشيد أحمد: ظهور الكُرد في التاريخ، 248/2.

3 – د. جمال رشيد أحمد: كركوك في العصور القديمة، ص 55.

4 – د. جمال رشيد أحمد: كركوك في العصور القديمة، ص، 23، 25، 55. وانظر جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ص 112. د. محمد بيّومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص 344.

5 – جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ص 134.

6 - المرجع السابق، ص 200.

7 – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص 107. جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكِّرة، ص 200. بونغارد – ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص 162.

8 – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص 45. وانظر محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعي: دول وحضارات الشرق العربي القديم، ص 162.

9 – جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص 41.

10 – جورج رو: العراق القديم، ص 318.

11 – محمد حرب فَرْزات، عيد مَرْعي: دول وحضارات الشرق العربي القديم، ص 163.

12 – المرجع السابق، ص 162 – 163.

13 – د. أحمد ارحَيّم هُبُّو: تاريخ الشرق القديم (سوريا)، ص 117.